استجواب المرحومة

استجواب المرحومة

المرحومة مش عايزة حد من أخواتها أو أمها يحضر دفنها.. هي موصياني بكده.. لو حد منهم جه يمشي على طول.

خالتي سومة أو إلهام هذا هو صوتها الذي لا تخطئه أذني، وكيف لأذني أن تخطئ صوتها وبي بعض من خصائصها، فكلانا لا يخشى في الحق لومة لائم، ولكم أعشق فيها تلك الصفة التي انقرضت في زماننا هذا.

(حاسبوا يا جماعة بالراحة والنبي على المرحومة)

قالتها نادرة ابنة خالة أمي التي ينطبق عليها القول صديقة السراء والضراء.

(اعدل المرحومة كويس) يا بني آدم انت وهو..

هذه بدرية ابنة عمتي التي ذابت فيّ عشقًا جعلها تفعل أي شيء من أجلي مهما كان صعبًا.

(أنا نازل مع المرحومة)

إنه الرجل الطيب خالي رشدي يمارس هوايته في اصطحاب الأموات إلى مثواهم الأخير، وأعتقد أنه لو خير في اختيار مهنته لاختار أن يكون تربيًا.

ـ ما اسمك؟ (عفت)

ـ ما دينك؟ (الإسلام ديني)

ـ من نبيك؟ (محمد عليه الصلاة والسلام نبيّ)

ـ ما اسم أمك؟

جاهدة أركز سمعي مع الملقن الأرضي الذي ضاع صوته وسط همهمات المشيعين ربما.. أو أنه أراد لي الرسوب في الاستجواب لربما لصلته بإخواننا الدراويش الذين يكنون لي كراهية لا أدري لها سببًا.. بل ربما يكون السبب أني كاشفة لزيفهم.

وربما لتلك الصفة التي لم تفارقني قط.. والمتمثلة في عدم استطاعتي ممارسة الغش بأي صورة.. وفي هذا الصدد أذكر مرة وبينما نحن في أحد امتحانات منتصف العام اختارتني زميلاتي لكي أقودهم غشًا بأن أقوم بوضع كتاب المادة الممتحنة، وكانت مادة الدين على فخذي ومن ثم أملي عليهم الإجابات، وكنا في المرحلة الإعدادية.

كان السؤال أكمل الآية التالية: L . . . l k j i h g M (الإسراء: 23).

وبالرغم من معرفتي للإجابة إلا أني رغبت في التأكد منها خاصة وأن كتاب المادة على فخذي، وعندما وقعت عيني على الكتاب أصبت بحالة من الارتباك الشديد جعلتني أردد بصوت هامس j i h g M L . . . m l k (الإسراء: 23).

مكررة بالوالدين دونما قدرة على استكمالها برغم إلحاح زميلاتي على تكملة الآية لكن دون جدوى.. مما جعل زميلة منهن تسلم ورقة إجابتها

وتسحب بعدها الكتاب مني قائلة: هل لجم لسانك؟ ها هي الآية أمامك ولا تستطيعين تكملتها.. فتبعتها بتسليم ورقتي للمراقب وكأني قد انفكت عقدة لساني فقلت لها وهل تحتاج المسألة لغش.. وبالوالدين إحسانًا. صدق الله العظيم، وكانت هذه هي المرة الأولى والأخيرة التي حاولت فيها الغش بتخطيط من زميلاتي، وفشلت وخيبت أملهن والحمد لله.

أنا الآن في القبر، دخلته لتوى وعلىّ أن أجيب عن سؤال الملكين.. أعتقد أنه كان بخصوص اسم الوالدين.. ربما كان بخصوص اسم والدي.. ما أسهله من سؤال فلقد ظللت ما يقرب من أربعين عامًا اكتب اسمي ثلاثيًا متضمنًا اسم والدي وجدي وكان ذلك على كراريس المدرسة واستمارة دخول الامتحان واستمارة استخراج البطاقة الشخصية واستمارة جواز السفر، حتى روشتات الأطباء ونتائج التحاليل وتقارير الأشعة كانت تحتوي على اسمي كاملاً.. عفت عبد السميع العجمي.

ـ ما اسم أمك؟

كررت ملائكة الاستجواب بحدة

أصبت بتردد

نعم.. نعم.. اسم أمي..

ماذا دهاني؟.

لم أعد أسمع الملقن الأرضي.. ولا حتى من جاءوا يشيعونني إلى مثواي الأخير.. ربما ذهبوا إلى حال سبيلهم.. ولم يعد أمامي إذن سوى من سبقوني من الموتى القابعين بجواري.. أربع أو خمس هياكل.. نظرت

اليهن... لابد انهن أهلي واقاربي... نظرت إلى الهيكل الأول... هيل متسم بالعجز والكهوله... إنها جدتي لأبي. "ستي يأم عبده" كما كنا نناديها.

..آه يا ستي.. كم اشتقت إلى حكاياتك.. سآتي إليك بعد الاستجواب الملائكي كي ارتمي في حضنك الذي افتقدت دفأه وحنوه.

ومن هذه الأخرى.. عروس في ريعان شبابها.. إنها شقيقتي إيمان.. آه يا إيمان ها أنذا أخيرًا ألتقى بك/ جميل هذا فلدي الكثير الذي أود التحدث معك بشأنه وإخبارك به.

وهؤلاء الأخريات عندما اقتربت منهن تأكدت أنهن لسن بأقاربي وهذه ليست جدتي وتلك لم تكن شقيقتي.. ولأنهن لسن بأقاربي فلن يعرفن من تكون أمي، لأنهن لا يعرفنني.. يا إلهي ماذا أتى بي هنا وسط من لا أعرفهم.. ولا يعرفونني.. وما تلك الوحشة.. ألم تكف غربتي في الدنيا.. حتى تلاحقني في الآخرة..لا.. لا.. آه.. حقًا.

تذكرت الآن.. إنها وصيتي المتضمنة دفني في مدافن الصدقة بعيدة عن مدافن أسرتي مفضلة الابتعاد عن أهلي حتى لا تثور بيننا المشاكل مرة أخرى في القبر.. يكفني ما حدث في الدنيا..

ولكني في حاجة إليهم الآن ليساعدوني على الأقل في معرفة اسم أمي.. ولكن متى كانوا يلبون حاجتي إليهم..

علىّ أن أعتمد على ذاتي كما كنت دائمًا..

شفيقة.. نعم إنها أمي فلقد كانت دائمة الدعاء لي والسؤال عني

وكانت تتلهف للقائي وتضمني إلى حضنها عندما تراني فأشم فيها رائحة أبي . . فلقد كانت شقيقته . . إذن فهي ليست بأمي بل هي عمتي شفيقة . .

يا إلهي . . من هي أمي؟ لا أدري فعندما جئت إلى الحياة لم أكن أعي من أي رحم أتيت ومن أي ثدي رضعت . .

هل الإحساس بالأمومة يلزمه بالضرورة حالة من النضج أو الوعي أم إنه يلازمنا منذ ظهورنا للحياة، فهو الدفء والحنان الملازمان للنشأة.

إذن فهذه السيدة التي كنت إذا ما واجهتني أزمة ما أجدها تحتويني فأرتمي في أحضانها باكية . . فتخفف عني ما أنا فيه . . لقد كانت بالنسبة لي الأمان والدفء والحنان والستر إذا لزم الأمر . . إنها إذن أمي . . لا يهم الاسم فلربما كان اسمها إلهام أو عائشة أو نادرة أو سامية أو عفت أو فايزة أو بدرية . . كلهن أعطيني معاني الأمومة . . أما من أخرجتني من رحمها فلا أعرفها . . من هي . . ؟

فأنا أستطيع معرفة من أنجبت . . ولكني أشك في معرفتي من أي رحم أتيت . .

فتأكدي من أمومتي لأبنائي يقابله شك في بنوتي لأمي . .

فيا ليته يُعدل السؤال إلى . . من أبنائك؟ إذن لكان سهلاً علىّ الإجابة . . وساعتها لربما ذكرت أمي اسمي من بين أبنائها وعليه أستطيع تحديد من هي أمي . .

أما أنا . . فأم لاثنين: ولد وبنت . . هذا مؤكد . . الولد أسميته خالدًا فلقد جاء بعد النكسة بشهور . . وتنحي جمال عبد الناصر . . وخروج

الشعب يطالبه بالعودة صارخًا: أنت الأمل الباقي يا أبو خالد . . كان الصراخ يملأ أذني ـ وقت النكسة ـ يا أبو خالد يا حبيب بكره حتدخل تل أبيب . . وبعدها جاء ابني سميته خالدًا . . أما البنت . . فأسميتها عاليه . .

آآه . . إنه الاسم . . اسم أمي . . فلقد كانت سميتها . . أيها الملك . . أيتها الملائكة . . لقد تذكرت اسم أمي . .

لكن هيهات . .

إنهم دائمًا في الوقت غير المناسب يختفون . . ودائمي التشكك . . وأورثوني تلك العادة السيئة . . وهاأنذا مرة أخرى أشك في أن تلك السيدة صاحبة هذا الاسم هي أمي . . وخاصة إنها سبق لها إنكار ذلك . .

إذن فمن هي أمي . . لا بد لي أن أعرف . . ولا يمكن لأحد أن يهدني إلى المعرفة سوى هذه السيدة . . التي اعتقدت أنها أمي ولكنها دائمًا ما تنكرني.

فلأهرب ولو لدقائق من هذا القبر باحثة عن أمي . . مستحلفة إياها أن تدلني على أمي إن لم تكن هي أمي . .

وقفزت ميرفت فزعة من على سريرها . . صارخة: من هي أمي . . من هي أمي . ؟؟